المحاضرة الحادي عشر:

المادة: تاريخ الخلفاء الراشدين والدولة الاموية من(١١-١٣٢هجري)

المرحلة: الثانية للدراسات المسائية

العام الدراسي :٢٠٢٤-٢٠٢٥

استاذ المادة: المدرس/ منذر منعم سعد

خلافة معاوية الثاني بن يزيد سنة (٦٤هـ / ٦٨٥م)

ملك أربعين يوماً، وقيل ثلاثة أشهر ثم صعد المنبر وقال: (يا أيها الناس، إن جدي معاوية نازع الأمر أهله، ومن هو احق به منه لقرابته لرسول الله (ص) وهو علي بن ابي طالب (ع) وركب بكم ما تعلمون حتى اتته منيته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بخطاياه، ثم قلد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك، وركب هواه وأخلفه الأمل وقصر عنه الأجل، وصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بجرمه)، ثم بكى حتى جرت دموعه على خديه وقال: (إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله (ص) وأباح الحرم وضرب الكعبة، وما انا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم، فشأنكم وامركم، والله لئن كانت الدنيا خيراً فلقد نلنا منها خطأً، وإن كانت شراً فكفى ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها)، ثم دخل منزله وتغيب حتى مات في سنته بعد أيام وقيل مات مسموماً وليس له من الخبار ما يُؤثَر.

فانشقت القيادات المؤيدة لبني أمية على نفسها الى كتلتين:

١-كتلة القبائل اليمانية بقيادة حسان الكلبي، وتؤيد زعامة مروان بن الحكم.

٢-كتلة القيسيين بقيادة الضحّاك بن قيس الفهري، تؤيد عبد الله بن الزبير.

واشتبكت الكتلتين بمعركة (مرج راهط) التي تقع شرق دمشق، انتصر فيها الكلبيين، فأصبح (مروان بن الحكم) خليفة وبذلك انتقلت الخلافة الى البيت المرواني.

خلافة مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ / ٦٨٤-٦٨٥م)

لما انتصرت كتلة الكلبيين في معركة (مرج راهط) استمر النزاع بين أنصار البيت الاموي على من يتولى الخلافة حتى عقدوا مؤتمر الجابية الذي أقروا فيه الخلافة لمروان

بن الحكم ومن بعده خالد بن يزيد بن معاوية ومن بعده لعمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق، وبذلك أرضوا جميع الأطراف التي كانت تتطلع للخلافة، وكان في ذي القعدة عام (٦٤هـ).

تابع مروان نشاطه فجهز جيشاً بقيادته الى مصر التي استقلت عن بلاد الشام لطرد عبد الرحمن بن جحدم عامل عبد الله بن الزبير، وبعد معركة محسومة دخل مروان عين شمس ثم الفسطاط بعد هزيمة ابن جحدم في أول جمادي الأولى سنة (٦٥هـ)، وبنى الدار البيضاء لتكون مقراً له ثم عاد الى الشام مخلفاً ابنه عبد العزيز في مصر والياً عليها، وأعدّ جيشين، أحدهما سيَّره الى الحجاز لمحاربة عبد الله بن الزبير الذي بسط نفوذه في الحجاز فحلت الهزيمة في جيشه هناك، والآخر الى العراق الذي تمكن من القضاء على ثورة التوابين.

كيفية وفاته:

بعدما بويع مروان بالخلافة تزوج من أم خالد بن يزيد منافسه على الخلافة ليصغر بذلك شأن خالد فيسقط عن درجة الخلافة، ودخل عليه ذات يوم فقال له مروان: يا ابن الرطبة ونسبه الى الحُمق ليصغر أمره عند اهل الشام فخجل خالد وأخبر أمه فقالت: (لا يعلمن أحد أنك أعلمتني وانا أكفيكه)، ولما نام مروان عندها وضعت على وجهه وسادة ولم ترفعها حتى مات، ولما علم بذلك ابنه عبد الملك أراد قتلها فأشير عليه بالعدول عن رأيه حتى لا يتحدث الناس عن امرأة قتلت أباه فيلحق به العار، وكانت ولاية مروان تسعة أشهر وبعض شهر، وصدق به قول أمير المؤمنين علي (ع): ((إن له أمره كلعقة الكلب أنفه))، وبويع من بعده لولده عبد الملك بن مروان.

خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ /٦٨٥-٧٠٥م)

ولد عبد الملك بن مروان بالمدينة المنورة سنة (٢٦هـ) في خلافة عثمان بن عفان، وكان شديد السياسة حسِن التدبير للدنيا، وفي أيامه نقلت الدوواين من الفارسية الى العربية، وهو أول من نهى الرعية عن كثرة الحديث بحضرة الخلفاء ومراجعتهم.

ومن طريف ما قيل: ان عبد الملك لما أرسل يزيد بن معاوية الجيش لقتال اهل المدينة وغزو الكعبة، امتعض من ذلك غاية الامتعاض، وقال: ليت السماء انطبقت على الأرض، فلما صار خليفة فعل أشد من ذلك، فإنه أرسل الحجاج لحصار ابن الزبير وغزو

مكة، وكان عبد الملك قبل الخلافة أحد فقهاء المدينة ويسمى حمامة المسجد لمداومته تلاوة القرآن، فلما آلت اليه الخلافة اطبق المصحف وقال: "هذا فراق بيني وبينك"، وتصدى لأمور الدنيا.

وقال يوماً لسعيد بن المسيب: (يا سعيد قد صرت أفعل الخير فلا أُسرَ به وأصنع الشر فلا أُساءَ به، فقال له سعيد: الآن تكامل فيك موت القلب).

ضرب النقود الإسلامية

وقع خلاف بين ملك الروم والخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على قراطيس كانت عليها طراز بالرومية ويُذكر فيها شعار النصرانية منعها عبد الملك من التداول بعدما تُرجمت له، فكَتَب اليه ملك الروم أن يعيدها على حالها السابق وإلا لأمر بنقش الدنانير (التي كانت تضرب بالرومية) بشتم النبي، فأشار عبد الملك أصحابه فأشار عليه روح بن زنباع الجذامي بالاستعانة بالإمام محمد الباقر عليه السلام، فاستعان عبد الملك بالإمام الذي جاء دمشق وأمره بإحضار الصُناع والصاغة وطلب منهم ان يضربوا بين يديه سكاكاً وان يُجعل النقش على وجه منها سورة التوحيد وعلى الوجه الآخر شهادة الإسلام وأن يجعل في مدارها ذكر البلد الذي يضرب فيه والسَنة، ثم فصل ذلك على أوزان الدراهم والدنانير وباللغة العربية.

تعريب الدواوين والنقود الاسلامية

أن من اهم الاعمال التي حدثت في عهد عبد الملك بن مروان هي عملية تعريب دواوين الخراج .

والمقصود بهذه العملية هي عملية نقل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية ، وهي تلك الحركة التي قام بها عبد الملك بن مروان واكملها الخلفاء الأمويين بعده ،وكانت هذه الحركة جزء من عملية تغريب واصلاح شاملة وسياسية مرسومة ، حان وقت تنفيذها ،وكانت تهدف الى اعادة تنظيم كل اجهزة الدولة وصبغها بالصبغة العربية.

أما أهم اسباب عملية التغريب فيمكن إجمالها مما يلي :-

١. استقرار أوضاع الدولة الداخلية وما رافقه من تطور حضاري صاحبه ظهور عدد من الكتاب العرب والموالي ممن يجيدون الكتابة بالعربية والترجمة الى اللغات الأجنبية ،والرغبة الشديدة لدى الدولة ممثلة بشخص الخليفة عبد الملك بن مروان

وتطلعاته القومية في رسم المستقبل على أسس قوية ترتكز على لغتها لغة الدين والسياسة.

٢. كانت للعوامل المالية والاقتصادية أثراً مهماً في تغريب دواوين الخراج ، حيث كان متولي هذه الدواوين يحصلون على اموال طائلة من عملهم هذا ، مما يؤدي او يؤثر سلباً في وواردات بيت المال واقتصاد الدولة. لذلك كانت عملية التغريب خطوة اولى باتجاه اعادة تنظيم طريقة جباية الضرائب في الأقاليم وضبط أعمال الدواوين والأشراف الدقيق عليها ، فمنع الغش والتزوير وهو بذلك جزء من خطة الاصلاح المالي الذي كانت الدولة بحاجة ماسه اليه آنذاك.

٣. كان عبد الملك بن مروان يهدف من عملية التغريب الى تحقيق وحدة الدولة وتماسكها بتوحيد النظم المالية والإدارية ،وأنهاء التأُثيرات الشعوبية والعنصرية.

٤. كذلك ان بقاء اللغات الأجنبية مستعملة في الدواوين يعني بقاء الموظفين من غير العرب او من غير المسلمين مما يؤدي الى منافسة هذه اللغات للغة العربية ، مما يضعف كيان الدولة ، حيث يتعارض ذلك مع سياسة الدولة واستقلالها ، لذلك كان الحرص على سلامة اللغة العربية . من العوامل المهمة لتعريب الدواوين حيث دخلت شعوب واقوام مختلفة الى الاسلام .